

من

سيرة النبی ﷺ

٣٥

العريس الشهيد

## الجريس الشَّهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخني العزيز الفاضل، حفظكم الله ورعاكم، وسدد على دروب الخير خطاكم، أجمل ما في الدنيا لقيامكم، وأصعب ما فيها فراقكم، فهنيئاً لمن يلقاكم، أنا بانتظارك:

يا شيخنا لو زرتنا لوجدتنا	نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل
يا شيخنا ما أجمل الدنيا بكم	لا تقبح الدنيـا وفيها أنتم
ولئن سألت عن الأعبة من هم	فاعلم بأن جوابنا هو أنتم
	أخوك الصغير: أبو الحسن

آخر رسالة من أبي الحسن إليّ.

تلك هي القصاصة التي أسرعُ بجمعها لما سمعت هدير صوت الطائرات في الأفق القريب، وقد دخل عليّ أحد الأخوة والهم يملئه قائلاً: "أباتشي، بلاك هوك، زناير" تقترب منّا فخرجتُ معه فإذا بإنزال بعيد بعض الشيء عنا، فقلت لصاحبي، وقد رجعت مسرعاً وأنا أجمع قصاصة من الورق كنت لتوي قطعها. "بس لا أبكي اليوم على أبي الحسن". قال إن شاء الله لا يكون، قلت الطيران في منطقته والله أعلم، يا شباب ادعوا لإخوانكم واسألوا الله العافية.

ثم اقتربت الطائرات من بيتنا، بل أخذ حوله دورة غريبة ملفقة للنظر، فوزعت الأخوة مجموعتين للقتال إن حدث مكروه، وكانت عين الخيانة من نصيبنا هذا اليوم. لم أستطع أن أخفي ما في نفسي من أن يكون الإنزال على بيت حبيبي ونور عيني (أبي الحسن) فأرسلت من يستطلع الأمر، فإذا بصبيان المدارس يقولون هناك قصف لمنزل. فزادت حرارة المصيبة في قلبي، ففي ظني ليس في المنطقة المرادة إلا إخواني، وبعض عصابات التسليب لا حاجة للمحتل في القضاء عليها، بل الحاجة الماسة في بقائها لتشويه صورة المجاهدين.

ثم جاء الناعي ليُلقي عليّ صاعقة طار لها فؤادي من مكانها، الإنزال والقصف على بيت أبي الحسن، فهدّني الخبر وتحجّرت الدّمة في عيني أو هكذا أردت أمام إخواني، ثم سألت عن باقي الأخوة أكانوا عنده في المنزل، فقالوا في الغالب نعم.

قمتُ من مكاني وأردت أن أخلو بنفسي فإذا بأقدامي لا تقوى على الوقوف، ومشيتُ أترنح إلى غرفتي كأني سكران أو به مس، ووالله لفقدي لأبي الحسن شديد شديد، " اللهم أجبرني في مصيبي وأخلفني خيراً منها".

من هو الحبيب؟

هو الداعية الموفق المُسدّد، والمجاهد البطل المغوار، والأخ الناصح الرحيم، والأمير الهمام الأمام، الصادع بالحق القائم به، والمبتلى في ذات الإله. هو الأخ الشهيد أبو الحسن الشرعي (عليه السلام).  
قدّم الشهيد نحسبه والله حسيبه إبان معركة الفلوجة الثانية تاركاً وراءه من يلهث إلى جاه العلم ويتكسب به، غير آبه بتلك الدعوات الرخيصة والتي عرضوها عليه من عمل في الهيئات الخيرية وقيادة بعض المؤسسات الإنبساطية، ومستعيناً بالله وبما أنعم الله به عليه من علم شرعي، غير آبه بشبه المخذلين والمرجفين والقاعدين القائلين: نُحَصِّل مزيداً من العلم ثم نلحق بالركب، وكلما حصل العالم وكما هو معروف يشعر بالجهل، فلا حدود للتحصيل، والشيطان من ورائهم يزين فكرهم ويسوقهم للهلاك.  
و لكن أبا الحسن عرف طلاق إبليس وأعوانه، فشمر واستعان بالله ومضى غير آبه بدعوات المخذلين، وكيف لا وهو من يعرف هؤلاء المرجفين فقد كان يدعوهم إلى مدينة جدة ويقوم على شؤونهم في معسكراتهم الدعوية.

فقد عرف حرصهم الشديد على الجاه والسلطان، أعني سلطان العلم، ومما قال لي، قال: اتصلت على أحد هؤلاء فاشتراط أن أحجز له في الطائرة حتى يأتي هو ومن معه، ثم اشترط أن تستقبله سيارة فارهة من نوع كذا، وآخر يشترط أن يكون عدد الحضور في المسجد يزيد على كذا شخص، وآخر يشترط أن يكون الطعام من مكان ما، وأن يجهزوا له رحلة بحرية، وهلم جراً من هذه المخازي، فقال الرجل: هل هؤلاء حقاً يريدون أن يُحَصِّلوا مزيداً من العلم ثم يلحقوا بركب الجهاد، أم هي خدعة إبليس أوحى بها إليهم ليثبطوا الشَّباب عن اللحاق بركب الجهاد.

وما أن وصل حتى سجّل اسمه في قائمة الاستشهاديين وسجّل وصيته ثم قدم مع من قدم من الأخوة الأستشهاديين للمشاركة في عملية أبي غريب المباركة، ولما علم الأخ المسؤول بأن هذا الرجل من أهل العلم الشرعي ومن حفاظ كتاب الله والمهرة فيه تم استبعاده من العمل الأستشهادي على كُره منه. ثم أخذ الشهيد دوره كداعية بين إخوانه فطاف قرى المنطقة صادعاً بالحق وناصحاً ومذكراً، وهو مع ذلك

لا يترك الحراسة والرباط ويتنقل مع إخوانه يخفف عنهم الآلام ويرسم البسمة على وجوههم، وكانت حريصاً على محبة إخوانه له، فما ترك منطقة إلا حلّ عليها داعية، وكلما أرادت مجموعة أن يلحقوا بركب القاعدة المبارك، كان يُكَلِّف أبا الحسن بأن يعطي دورة شرعية لهم ثم يعطي رأيه بعدها في مدى صلاحية المجموعة أو بعضهم وكان تواصله مستمر مع أئمة المساجد في المنطقة يحثهم على الخير ويذكرهم بالواجب الذي كتبه الله عليهم من قول الحق وتعليمه للناس وعدم الخوف إلا من الله.

ثم هو مع ذلك مجاهد صنديد أذكر أن العدو داهم المنطقة التي كان بها وحوّلها إلى معسكر، فما ترك المنطقة بل شكّل مع مجموعة من أخوانه مجموعة فأرعبوا الأمريكان وقعدوا لهم بحق كما قال الله كلّ مرصد، فكانوا يترصدون بهم ويزرعون العبوات خلفهم حتى فتح الله عليهم في زمن يسير، فقد قتل الله على أيديهم خلال شهر واحد ما يقارب المائة مرتد وكافر، حتى زرع الرعب في قلوبهم فلم يقتربوا بعد من طريق الموت وهو في كل يوم يخرج باسم الثغر، فأقول له إلى أين؟ يقول إلى الأمريكان، والبسمة تعلوه، فأقول حافظ على نفسك وإخوانك ودائماً يردد الحافظ الله.

شارك الحبيب في عملية اقتحام مركز مكافحة الإرهاب وصوّر بعض وقائعها بكاميرا كانت معه. ومما يدل على شجاعة الرجل ورباطة جأشه وحسن تدبيره أن العدو الأمريكي داهم يوماً منطقة صدر اليوسفية وطار الخبر إليه وإلى إخوانه فأسرع إلى مكان الحادث وبدأ يرتب الأخوة ويُنظّم أمورهم فوضع مجموعة جهة الناظم وأخرى في البساتين وهكذا حتى أحسن الطوق حول الأمريكان ثم كبر وأمر بالضرب، فما شعر العدو إلا ونيران المجاهدين تحصدتهم من كل جانب وبدأت دمائهم تسيل غزيرة. وأخذ أبو الحسن يضحك لما رأى ذلك المنظر الغريب أعني به منظر أبي رضوان وهو يصبوب الأحادية على الهمر وقد ركبها على سيارة بيك أب وبدأ المنظر غريباً، کیا تواجه هم، هذا يضرب والأخ يضرب فما سكت أبو رضوان حتى حول الهمر إلى بركة من الدماء.

ثم بدأ أبو الحسن يسحب المجموعة ويضع مكانها مجموعة أخرى حتى استبدل جميع المجموعات بأخرى جديدة فلما سُئِلَ قال، فرصة يتدرب الأخوة على دماء الأمريكان. وثانياً حتى تستريح المجموعات القديمة، وثالثاً لأن عتاد المجموعة الأولى أوشك على النفاذ، ورابعاً همة ومعنويات المجموعات الجديدة تكون بعد في أوجها، وظل يدير المعركة حتى كبّد العدو خسائر كبيرة، وانسحب يجر الخذلان والهزيمة تاركاً بقع الدماء، وساحباً عشرة من الجيف معه.

و قد عُرف عن أبي الحسن قدرة على الإقناع عجيبة وخاصة عند شيوخ العشائر، فقد كان يزورهم ليحل مشاكل المجاهدين معهم بل ومشاكلهم العشائرية. وطار اسم أبي الحسن في المنطقة فأصبح كأنه نار على علم، ففرح الصديق واغتاز المنافق. وتم تعيينه مسؤولاً شرعياً لكتيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونائباً لأمرها ثم عُين مسؤولاً شرعياً لحزام جنوب بغداد ثم تم أخيراً تعيينه أميراً لكتيبة أم المؤمنين عائشة في بغداد وهذا قبل استشهاده بأيام إلا أنه لم يزاوِل مهامه.

طلب مني الشهيد يوماً الزواج، فقلت أجتهد لك في الصالحة إن شاء الله، وبالفعل تم ذلك وعقدتُ له على امرأة صالحة من بيت صالح، فلقد وافقت مباشرة لما علمت أنه حافظ لكتاب الله وأنه مجاهد وعنده طلب للعلم الشرعي، فقالت الحمد لله هذا ما كنت أودّ وأطلب رجلاً يعلمني أمر ديني ويعينني عليه. وزُفّت العروس إليه واجتمع شمل العروسين في بيت قريب مني، فأرسلت بعد يومين رسالة له، أطمئن عليه وأعرف هل صح ما كنت آمل من المرأة، فإن ابا الحسن تزوجها ولم يكن قد رآها وإنما طلب الدين على نصيحة مني، "أطلب الدين ترزف الجميع" شرط صدق النية، فأرسل إليّ حامداً لله وشاكراً لي تلك الهدية قائلاً: "الحمد لله لقد رُزقت ما يقرُّ العين ويريح القلب"، ثم قال قال ممازحاً لقد آن الأوان أن أكتب كتاب: "المباح في الليالي الملاح" ثم بدأ يحكي لي بعض فصوله في دعابة ظريفة وأدب جم عرفت ساعتها أن نفسية الرجل في أحسن أحوالها وأن المرأة قد وقعت منه كل موقع، فحمدت الله وشكرته على التوفيق والسداد.

و بعد نحو من خمسة أيام زارنا في البيت الذي كنت فيه وطلب أن آتي عنده فوعده في اليوم الثاني، ثم حكى لي موقفاً سرّياً وأظنه يسرُّ كل مسلم. قال: تعلم يا أخي أن الأخوة الأستشهاديين عندي في البيت (و كان عددهم سبعة، تقوم العروس على خدمتهم من طهي وغسيل للملابس، فمن مثلها، بنت الأكرمين وفي أول أيام عرسها تطهي وتخدم المجاهدين، وتحتسب الأجر والفرحة ملىء عيونها)، قال: جاء الخبر أن الأمريكان يريدون أن يفتشوا المنطقة فقلت لزوجتي أخرجي إلى بيت الجيران، فإن جاءوا فسوف نشتبك معهم، فلا مجال للخروج من البيت، فقالت، والله لا أخرج أعطي حزامك الناسف ألبسه، فإن جاءوا، قمت بما يرضى الله، قال: فألبستها أياه فضحكت وأخذت في الغسل والطهي وكأن شيئاً لم يكن". وفي اليوم التالي لم أستطع الذهاب، ثم أرسل إلي في اليوم الثالث هذه الرسالة سابقة الذكر والتي صدرت بها الكلام عن الرجل، إلا أنني أستخرت الله ولم أذهب لعارضٍ يتعلق بأمور العمل.

جاء الطيران التابع لـ CIA طبقاً لمعلومة أو قرص من جاسوس أو عين باع دينه بدراهم معدودة فحسبنا الله ونعم الوكيل، وقبل نزوله أسرع الأخوة واشتبكوا معه إلا أن عدو الله أمطرهم بوابل من الصواريخ والرمانات والبكتا عيار ٣٠ ملم، ثم حولوا البيت ركاماً، فأنكشت الجريمة على أستشهاد العروسين وعشرة من الأخوة، سبعة أستشهاديين وثلاثة كانوا في زيارة لهم من الأخوة الأنصار.

تبقى هناك بعض المحطات في حياة أبي الحسن أحبُّ أن أُشير إليها إشارة:  
أولاً: أن الشهيد العريس، رزقه الله حبَّ إخوانه بما آتاه الله الله من حسن خلق وأدب جم وتواضع غريب وشجاعة فائقة، فلقد أسر بدمائه أخلاقه وحسن عباراته كل من رآه من المهاجرين والأنصار.  
وإني أشهد الله أنني ما أحببت فيما أعلم ما أحببت أبا الحسن، وما أظن أن أحداً أحبني مثله أيضاً فقبل مقتله بيوم قال لي مداعباً والله لو شققت قلبي لوجدت محفوراً فيه (فلان) يعني العبد الفقير، وإني لأرجو من الله الخير وصلاح الحال بحبه لي وعسى ربي إلا يخيب ظنه في فألحق به على صلاح في الحال وشهادة في سبيله.

غير أن هذه المحبة التي رزقه الله أيها، لم تكن هدفاً له مع كل أحد بل كان الشهيد الداعية حرباً وسيفاً على كل منافق زنديق وشديداً مرأً مع كلِّ مراوغ يتاجر بالجهاد وأهله. فطار اسمه في آفاق المنطقة حتى زرع الرعب في نفوس قطاع الطرق إلى الله والناس، فكرهوه من أعماق قلوبهم، وبدؤوا يُعدّوا له العدة ليستريحوا منه حتى حلف بعضهم جهاراً نهاراً أنه لن يهدأ له بال حتى يقتل أبا الحسن. ثم حمل راية هذا العداء بعض المنافقين المنتسبين إلى الجهاد، والذين ما عرفوا الجهاد إلا تكسباً للمال ووجاهة في الناس وهذا بالعراق كثير، بل غالب.

فلقد قدمت هذه البلاد مبكراً وقبل السقوط بستة أشهر وأعرف نفراً من هؤلاء بأعيانهم حفاة عراة يأكل الجوع بطونهم وهم اليوم يركبون أرقى السيارات ويلبسون أحسن الثياب بل ويمتلكون قطعاً من الأراضي وتجارات سرّية، وبعضهم علنية باسم تحصيل مكاسبها للجهاد، واضعاً في حسابه إن مات أن تذهب لورثته بحكم القانون وقد حدث مثل ذلك كثير.



أقول أخذ قطاع الطريق يثيرون الغبار حول أبي الحسن خصوصاً والمهاجرين عموماً فأصاب الشهيد من ذلك أذى كثيراً وهماً عظيماً، فجلس في البيت والحسرة ملئ فؤاده والدمعة ملئ عيونه، وكان يردد آخر أيامه إن متّ أموت وفي قلبي حسرة وألم.

ولعل هذه البلبلة وهذا البلاء كانا سبباً في صفاء نفس صاحبنا وهيئة قدرية للقاء رحمن رحيم، وقد برزت نفسية أبي الحسن واضحة في كلمته المفعمة بالمشاعر والآلام والتي ألقاها عقب سقوط طائفة الأباتشي في اليوسفية.

المحطة الثالثة: أن أبا الحسن كان محطّ ثقة أمراءه في تنظيم قاعدة الجهاد بل كان له من ذلك النصيب الأكبر. إذ قال لي يوماً أسد الرافدين، أود أن أحضر أبا الحسن ليبقى معي يعينني وأستشيريه وحتى إن حدث مكروه لفلان يكون هناك خلفاً له. ولقد عيّنه أميراً لبغداد في الفترة الأخيرة ثقةً منه أنه الرجل المناسب في المكان المناسب وحتى يصلح أمور بغداد بما فتح الله عليه وجمع له دون غيره من دراية شرعية وعسكرية وإدارية ومحبة الخلق. وكنت دائماً أحلف لأسد الرافدين أبي مصعب الزرقاوي " رحمه الله " أن أحق الناس بإمارة بغداد وأحزمتها هو أبو الحسن، فقط عييه صُغُر سنّه إذ أنه يبلغ من العمر خمساً وعشرين عاماً فقط، لكن السّبق سبق صفة لا سنّ ولا زمان. وصلى الله على نبيّنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر